تَمَهَّلْ، أمامَكَ مطبّاتٌ لغويّة!

موسى أحمد الحالول*

عاد أبي عام ١٩٧٥ من إقامةٍ قصيرةٍ في قرية الكافات، الواقعة شرقَ مدينة حماة، ليروي لنا قصّةً طريفةً عن سوء فهمٍ وَقَعَ فيه مع أحد أبناء القرية المذكورة، بسبب اختلاف اللهجات. كان أبي قد ذهب بأخي ناجي إلى تلك القرية، للتداوي عند طبيبٍ شعبيّ يُدعى إبراهيم حيدر. وهناك أوصى الطبيبُ أبي بالبقاء عدّة أيام لمتابعة حالة مريضه بشكلٍ يوميّ. وهنا برزتْ مشكلةُ إقامة أبي وأمّي وأخي وعمّي في هذه القرية، التي تبعد مسافة ٤٠٠ كيلومتر عن قريتنا. سأل أبي الحائرُ أولَ رجلٍ صادفه، خارجَ عيادة الطبيب، عن مأوًى لبضعة أيام، فأشار عليه الرجلُ بالذهاب إلى «المَنْزول.» فما كان من أبي إلاّ أن اخترط عِقالَه ليضربَ به هذا «السفيهَ الوقحَ،» لولا تدخّلُ عمّي ومبادرةُ الرجل إلى الاعتذار.

---

* - كاتب سوريّ، وأستاذ مشارك بقسم اللغات الأجنبيّة، جامعة الطائف.

هنا أدرك الرجل على الفور أنّ لكلمة «منزول» (التي تعني «المَضافة» عندهم) معنًى قبيحًا أثار حفيظةَ هذا الفلاّح القادم من ريف الفرات ـ وهي بالفعل كذلك، إذ تعني عندنا «بيتَ الدعارة،» وهي بالأصل من صادرات مدينة حلب إلينا. لا أعرف إنْ كانت هناك علاقةٌ تاريخيّةٌ تَربط الدعارةَ بالمنزول. لكنْ يبدو أنّ أهلَ حلب أطلقوا لفظةَ «المنزول» أصلاً على بيت الدعارة (الذي كان يُعْرَف أيضًا بالكَرَخانة أثناء الاحتلال العثمانيّ)، من باب ما يُسمّيه علماءُ اللغة العربيّة اللامَساس (أو euphemism بالإنجليزيّة): وهو العدولُ عن لفظةٍ تَخْدش الحياءَ إلى لفظةٍ ملطِّفة. ولعلّ أهلَ حلب، الذين يعتزّون بعروبتهم، أرادوا أن يُعَرِّبوا مرافقَ الحياة الرذيلة نفسَها بعد زوال المحتلّ العثمانيّ.

وبعد سبعة عشر عامًا من الحادثة، وقعتُ شخصيّاً في «مَطَبٍّ» مماثل. ففي سنة ١٩٩٢ التحقتُ بالتدريس في المعهد الصيفيّ العربيّ، في مِدِلْبِري كولِدج في ولاية ڤيرمونت الأميركيّة. وما كان أسعدَني أن يُعْقَد مؤتمرٌ دوليّ عن تدريس اللغة العربيّة في أمريكا الشماليّة، في حرم هذا المعهد العلميّ العريق، بُعَيْدَ أيّام من التحاقي بالبرنامج. وقبيلَ انعقاد المؤتمر علمتُ أنّ باحثةً سوريّةً، وهي مؤلّفةٌ لسلسلةٍ رائعةٍ لتدريس اللغة العربيّة، ستشارك في المؤتمر. فأحسستُ بألْفَةٍ مضاعفةٍ تجاهها قبل أن ألقاها.

انعقد المؤتمر، ورأيتُها وقد جَزَّت شعرَ رأسها بطريقةٍ مغايرةٍ للصورة التي رسمتُها في ذهني لها، كما صَبغتِ النُّتَفَ المتبقّيةَ منه بعدّة أصباغ. وكانت تلبس «ڤيزونًا» مُخَطَّطًا بالأبيض والأسود، وضيّقًا جدّاً لا يناسب في نَظري سيّدةً متوسّطةَ العمر. فتراخى اندفاعي السابقُ للتعرّف إليها. ومع تقديري لحريّتها، فإني أَذْكر مظهرَها «الهِبّيّ» لأنه أوقعني بما لم يكن في حسباني.

فقد كنتُ من قبلُ قد ذكرتُ لزملائي في المعهد، وبمزيدٍ من الفخر، أنني أعرفُ هذه الباحثة من خلال كتبها. فلمّا سألتني إحدى الزميلات المصريّات بخبثٍ وشماتة، وقد راعها المظهرُ «الهِبّي» لابنة بلدي: «تعرّفت على بنت بلدك؟» قلتُ لها: «واللهِ، لمّا شفت قَصّة شعرها، ولِباسها...» وهنا قاطعتْني زميلتي بنبرةٍ مندهشة: «بِخْرِب بيتك، شُفْتِ لِباسْها إزّاي بالسرعة دي؟»

لم أَفهمْ سبب لهجتها المستنكرة. وبعد لحظات، أدركتُ أنّ كلمةَ «لباس» (التي نستخدمها في سوريا مرادِفًا عامّاً للملابس بكلّ أنواعها) تعني عند المصريين «السروالَ الداخليّ» حصرًا.

ذكّرتْني هذه الحادثةُ بعهدٍ كنتُ قد أخذتُه على نفسي، وهو ألاّ أُطلقَ العنانَ لسَجيَّتي في الكلام مع مَنْ هُمْ خارج دائرتي اللغويّة الضيّقة، كي لا أقع في ما لا تُحْمَد عقباه. وكان ذلك بعد أن اكتشفتُ التنوّعَ، بل التنافرَ، اللغويَّ بين الناطقين بالعربيّة في جامعة پنسلڤانيا الحكوميّة التي وصلتُها طالبًا عامَ ١٩٨٩. لكنْ أنّى لكَ أن تتخلّى عن جلدك لكي تفي بمثل هذه العهود الفارغة؟

ففي صباح ربيعيّ جميل كنّا نستعد، نحن أعضاءَ النادي الاجتماعيّ الثقافيّ العربيّ في جامعة پنسلڤانيا الحكوميّة، لقضاءِ يوم على شاطئ إحدى البحيرات. كنتُ أحملُ في يدي بعضَ أكياس الأكل، فطلبتُ من صديقي اللبنانيّ، لؤي شَمْرا، أن يفتَح لي «طَبّونَ» سيّارته (أي الشنطةَ بالمصطلح الخليجيّ) لأضع الأكياسَ فيه. لكنّ زميلةً مغربيّةً قهقهتْ ضاحكةً، ثم زجرتني قائلةً: «احْشَم» (يعني: استَحِ). وكانت هذه الزميلةُ قد أفهمتني من قبل، عندما تمنّيتُ لها العافيةَ بعد عارضٍ صِحّيّ ألَمَّ بها، أنّ «العافية» عند المغاربة تعني «النارَ.» فماذا تراني، يا إلهي، قد ارتكبتُ في هذا الصباح؟ رَفضتْ أن تَشرح لي، فسألتُ أحدَ الزملاء التونسيين، فقال إنّ «الطَّبُّون» عند المغاربة لفظةٌ سوقيّةٌ تعني «فَرْجَ المرأة!»

❖ ❖ ❖

وبمناسبة الحديث عن الفَرْج، اسمحوا لي أن أُتحِفَكم بطرفةٍ لغويّةٍ من البيئة التي أنتمي إليها، وهي ريفُ الرقّة على الضفّة الشماليّة للفرات. فهناك قد تَسْمع رجلاً، يقول لامرأةٍ، غريبةً كانت أمْ قريبةً: «افتحي فَرْجِكْ» أو «هاتي فَرْجِكْ!،» هكذا على رؤوس الأشهاد، ومن غير أن يشعر المتكلّمُ أو المخاطَبةُ بأيّ حرج. لكنّ «الفَرْجَ» في مفهوم هذا الفلاّح المسكين يعني مقدّمةَ الثوب السفلى، من فوق الركبتين فما دون! أمّا لماذا يريدها أن تَفتح «فرجَها،» فلأنه يريد أن يعطيَها، أو يتصدّقَ عليها بمقدار «فَرْجٍ» من خُضر بستانه أو قمح بَيْدَره، وليس عندها من وعاءٍ تحملُ بها أُعْطِيَته سوى «فرجها.»

وسأكتفي بذِكْر «مَطَبَّيْن» آخَرَيْن رواهما لي الصديقُ الدكتور عبد الرحمن مرغلاني، رئيسُ قسم اللغات الأجنبيّة سابقًا في جامعة الطائف. الأول كان الضحيّةُ فيه أستاذًا عراقيّاً جاء للتدريس في مدينة الطائف، منذ أكثر من أربعين سنة. كان أحدُ تلاميذ هذا الأستاذ شقيّاً جدّاً، وعندما نفد صبرُ الأستاذ، قال له: «يا فلان، أنتَ والله يلْزَمك رَشْم.» فوجئ الأستاذُ بأنّ الصفّ بأكمله ينفجر ضاحكًا، وبمجموعةٍ من الأشقياء الآخرين تسأله: «أستاذ، هذا الولد يلزمه رشم بالمعنى السعودي أمْ بالعراقيّ؟» أحسّ الأستاذُ بما أوقع نفسَه فيه، فقرّر أنْ لا وقتَ للتراجع الآن، فردّ على الأشقياء: «بالاثنين معًا.» تعالى الضجيجُ، وكَثُر الهرجُ والمرجُ مرّةً أخرى. وقد تبيّن للأستاذ العراقيّ لاحقًا أنّ «الرَّشْم» يعني «مُضاجعةَ الغِلْمان» عند أهل الطائف، بينما الذي قصده هو الضرب، بلهجةِ أهلِ الأرياف الشماليّة الشرقيّة من سوريا.

أما المطب الثاني، فقد وقع فيه طالبٌ سعوديّ كان يدرس في الولايات المتحدة، أراد في يوم من الأيّام أن يدعو مجموعةً من أصدقائه الليبيين مع عائلاتهم إلى بيته. ولمّا وصل الأصدقاءُ وعائلاتُهم، وغَصَّ البيتُ بضيوفه، وأصبح بحاجةٍ إلى تَهْوية، قال المُضيفُ السعوديّ لسعوديٍّ آخر، وكان هذا من عشيرة الزامل المعروفة في السعودية: «باللهِ، فُكَّ الطاقة يا زامل» (أي، بالله، افتح الشبّاكَ يا فلان).

تَكَهْرَبَ الجوُّ فجأةً، ونظر المضيفُ إلى ضيوفه الليبيين، فرأى وجوهًا واجمةً، مصعوقةً، وتعالت صيحاتُ الاستنكار من أفواه نسائهم. لقد ظنّ الضيوفُ الليبيون أنّ مُضيفَهم السعوديّ قد أعطى إشارةَ البدء لسهرةٍ عامرةٍ بالفسق واللواط، إذ إنّ الترجمة الحرفيّة لما قاله إلى اللهجة الليبيّة (والعربيّة الفصيحة أيضًا) هو: «بالله، افتحِ اسْتَكَ، يا لوطي!»

❖ ❖ ❖

الأمثلة التي ذكَرتُها أعلاه تُذكّرني الآن بنُكتة تُرْوى عن أحد المستشرقين، وهو قوله إنّ أيّ كلمة عربيّة لها خمسةُ معانٍ: «معناها الأصليّ، ونقيضُه، ومعنًى ثالثٌ له علاقةٌ بالإبل، ومعنًى رابعٌ له علاقةٌ بالجنس، ومعنًى خامسٌ لا يَعْلمه إلا الله»!

لسنا هنا بصدد الردّ على هذه النكتة المتحاملة على العربيّة وأهلها، لكني أعتقد أنه قد اتّضح لكم الآن أنّ «المطبّات» التي يقع فيها الناطقون بالعربية، كُلُّها في الواقع ناشئٌ عن ذلك «المعنى الرابع» لبعض المفردات العربيّة. إلاّ أنّ هذا «المعنى الرابع» قد يوجد في مفردة معيّنة ضمن دائرة لغويّة محدّدة، وينتفي وجودُه من المفردة ذاتها ضمن دائرةٍ لغويّةٍ أخرى. بكلامٍ آخر، أنت مُعَرَّضٌ للوقوع في المطبّات عندما تَستخدم مفردةً من بيئتك اللغويّة، ثم تكتشف، بعد فوات الأوان طبعًا، أنّ لهذه المفردة «معنًى رابعًا» في البيئة اللغويّة التي ينتمي إليها مُخاطَبُك. وهكذا تجد نفسَكَ قد دخلتَ من حيث لا تدري ولا تحتسب إلى المنطقة المحظورة للجنس بشكله المُخْجِل. والجنس، كما هو معروفٌ في ثوابت أمّتنا العربيّة، ثالثُ أقانيم المُحَرَّمات بعد الدين والسياسة.

إذنْ، ما لم يتعلّق الأمرُ بالجنس ومتعلّقاته، لا يُعَدُّ أيُّ سوءِ فهمٍ دونَ ذلك «مَطَبّاً.»

لذلك، عندما تطلب من خُضَريٍّ في المغرب أن يزنَ لك ربطةً أو ربطتين من الملوخيّة، لتكتشف أنه قد وزن لك كميّةً من الباميا فإنّك تستطيع ببساطة أن ترشدَه إلى ما قصدتَ، فتتعلّم منه

فوجئ الأستاذ بأنّ الصفّ بأكمله ينفجر ضاحكًا، وبمجموعةٍ من الأشقياء الآخرين تسأله: «أستاذ، هذا الولد يلزمه رشْم بالمعنى السعودي أمْ بالعراقيّ؟»

معنًى جديدًا للملوخيّة، وهو يتعلّم منك أنّ الملوخيّة تُدعى باميا في المشرق العربيّ. ولو كنت سوريّاً مقيمًا في السعوديّة، وطلبتَ كيلو بطاطا، فأعطاكَ البائعُ كيلو بطاطا حلوة، لأنك لم تقلْ «بطاطس،» فلا بأس؛ فكلتاهما من أمٍّ واحدة.

وحتى لو تعلّق الأمرُ بالأوزان، كالأوقيّة التي لم يتّفقْ عليها السوريّون، أهي ٢٠٠ غرام أمْ ٢٥٠، فإن الفرق بسيط ولا يُفْسد للودّ قضيّة، ما دام الأمرُ لا يتعلّق بالمعادن الثمينة.

في كلّ هذه الأمثلة تكون الفائدةُ المعرفيّة مشتركةً، وسوءُ الفهم المبدئيّ ليس فيه ضررٌ ولا ضِرار، لأنّه قابلٌ للزوال بمجرّد معاينتك للغرض الماديّ الذي يجلبه لك مخاطَبُك على عكس رغبتك.

❖ ❖ ❖

لكنْ لا تستهينوا بغوائل الخُضَر، فمِن الخُضَر ما قتل أو كاد! تخيّلْ أنكَ من منطقة الحجاز، فانتقلتَ للعيش أو العمل في الرياض، أو سواها من مناطق نجد، وخَطَرَ في بالك أن تتعرّف إلى «الحَلَقة» (أيْ سوقِ الهال عند السوريين، والحِسْبة عند أشقّائهم الأردنيين، وسوقِ الخُضر والفواكه عند من تَبَقّى من الأشقّاء). وهناك صادفتَ مُطَوِّعًا وقورًا، فقلتَ له بعد السلام: «بالله، دُلّني على الحَلَقة» أو: «تَكَفَى، أَبْغَى الحَلَقة.» فإذا به يصفعكَ على وجهك، وينهال عليك بسيلٍ من الشتائم. وإلى أن يَفهمَ منك أنكَ لم تكن تُراوده عن نفسه (أو تُساومُه على اسْتِه تحديدًا)، والعُهدةُ هنا على صديقي وجاري د. عادل السليماني، أستاذِ اللغويّات في جامعة الطائف، تكون عيناك قد تورّمتا من اللَّكْم.

أما البطّيخ، فَحَدِّثْ ولا حرج. أنا شخصيّاً تساورني في بعض الأحيان اشتباهاتٌ في أنّ البطّيخ هو الذي أَفشل الوحدةَ العربيّة الكبرى؛ وهذه هفوةٌ من هفوات ساطع الحصري وزكي الأرسوزي وميشيل عفلق ورفاقِهم، الذين لم يتنبّهوا إلى خطر هذه الفاكهة المدسوسة على أيّ مشروع قوميّ عربيّ. باللّه عليكم، كيف نتّحد ونحن العرب لم نتّفقْ على اسمٍ مُوَحَّد للبطّيخ؟ فحتى في سوريا، التي لا شكّ عندي أنّها قلبُ العروبة النابض، تجد لهذه الكلمة مدلولاتٍ متعدّدة. فما نسمّيه بطّيخًا في منطقة الفرات السوريّة يُسمّى أيضًا قاوون (كتابةً) وأوون (لفظًا) في كلٍّ من حماة وحمص ودمشق، أو بطّيخًا أصفرَ (أي الشمّام بالمصطلح الأردنيّ ـ المصريّ ـ السعوديّ)، كي يُمَيِّزوه عن البطّيخ الأحمر الذي يُسَمَّى أيضًا الجَبَس في عموم سوريا،

ودِبْشي في المناطق الشرقيّة منها. وإذا لم تقتنعْ حتى الآن بأنّ البطّيخ (ولاسيّما الأحمر) هو المسؤولُ عن تشرذمنا السياسيّ، فتابِعْ معي تسمياتِه الأخرى في بقيّة أقطارنا: فهو في العراق دِبْشي، وفي الكويت رَقّي (تُلفَظ القاف كالجيم القاهريّة)، وفي السعوديّة حَبْحَبْ أو جُح، وفي ليبيا دَلّاع، وفي المغرب دَلّاح!

❖ ❖ ❖

على أيّ حال، ما يهمّني شخصيّاً، هو ما يتعلّق بالحرج الذي يمكن أن يقعَ فيه الأفرادُ وهم يتكلّمون على سَجِيَّتِهم، فيَصْعقون هذا ويَخْدشون حياءَ ذاك دونما قصد. تصوّرْ لو عَلِمَ مواطنٌ جزائريٌّ من عامّة الناس أنكَ سليلُ إحدى عائلات الطحّان المنتشرة في سوريا، لاعتقدَ أنّ جدَّك الذي تَكَنَّت عائلتكُم باسمه لم يكن سوى قَوّاد (لأنّ هذا ما تعنيه كلمةُ «طحّان» في الجزائر، على ذمّة صديقي هشام حَمّود)، ولن يصدِّقكَ ولو قلتَ له إنّ جدّك كان رجلاً فاضلاً كادحًا يَطْحن القمحَ لأبناء الذوات، والشعيرَ للناس الغَلابَة.

بل ماذا تفعل إزاء مغربيّ حدّثتَه عن رقّة طبعك القابل للعطب بسهولة لأنك إنسانٌ «حَسّاس،» فيقطع صلتَه بكَ فورًا لأنّه بات يخاف على ولده منكَ، ويعتقد جازمًا أنك من بقايا قوم لوط؟ وأيُّ كرامةٍ أو مهابةٍ تبقى لواحدٍ من أسرة «جَرّار» المَقْدِسيّة، عندما يرى سعوديّاً يتعجَّب كيف ارتضى أفرادٌ محترمون أن ينتسبوا، إلى «قَوّادٍ»؟

وتدعو صديقًا مصريّاً وصل لِتَوِّه إلى حلب إلى الغداء في بيتك، لكنّه يفاجئكَ بقولٍ يَنزل على رأسك كالصاعقة: «عايز أتْشَطَّف بالأوّل.» الحمد الله أنّك غيرُ متزوّج ولا أولاد لديك، لأنّهم حتمًا سيتساءلون، إنْ كان «غَسْلُ الاسْت» عند أهل الكنانة ليس واجبًا صحّيّاً ودينيّاً بعد التَّغَوُّط فحسب، بل من آداب الطعام أيضًا! ولكنكَ لا تفهم أنه قصد أنه يريد أن يستحمّ، إلاّ بعد أخذٍ وردّ.

❖ ❖ ❖

جزءٌ من مشكلة الدلالات المتنافرة في اللهجات العربيّة المعاصرة ناشئ أيضًا من رغبة بعض الناطقين بهذه اللهجة أو تلك في تعمية مقاصدهم بكناياتٍ لا يوحي ظاهرُ مفرداتها القاموسيّة ببواطنها الاصطلاحيّ. وهكذا تصبح العبارةُ المنحوتةُ الجديدةُ بمثابة شفرة سريّة ذاتِ معنًى محدّد، ومُتَّفَقٍ عليه بالنسبة إلى مُتَداوليها.

فعلى سبيل المثال، تسمع صديقًا سعوديّاً من منطقة الحجاز يسألكَ على سبيل الشفقة: «ما لك تعبان يا أخي؟ شَكْلَكْ نَزَلْت تِهامة أمس.» فتستغرب كيف خَطر له أنّكَ سافرتَ إلى تهامة، وهي تبعد مئات الكيلومترات عن محلّ إقامتك، ناهيك بكونكما قضيتما مساءَ أمس في سهرةٍ جمعتكما معًا. إلاّ أنّ تعبيرَ «النزول إلى تهامة» هو تعبير كِنائيّ يعني «الجِماعَ» في قاموس صاحبك الحجازيّ.

ومثله تعبيرُ «الخِياطة» عند المصريين. يسألك صاحِبُكَ الصعيديّ الذي تعرّفتَ إليه للتوّ عن «الوِلِيّة» إذا كانت معكَ في الخليج وعن عملها. تُخبِره أنّك تركتها مع الأولاد في بلدك، وأنها تعمل خَيّاطة، والحال مستورة والحمدُ لله. ترى ابتسامةً غامضةً ماكرةً ترتسم على وجهه فجأةً، ثم يقول، كأنّما لنفسه: «أستغفرُ اللّهَ من غضب الله!» وتكتشف بعد مدّة أنّ «الخِياطة» تعني (بالإضافة إلى معناها القاموسيّ) مِهنةَ البغاء في القاموس المصريّ، فتُساورك شكوكٌ إنْ كان صاحبُكَ قد ظنّ بك وبزوجتك المصونِ الظنونَ.

وهناك مَن يُعوِّل على جهل غير الناطقين أو العارفين بلهجةٍ معيّنة، للوقيعة بهم في مقالبَ ما أنزل اللهُ بها من سُلطان. يُقال إنّ واحدًا من «عَرْبَجِية» مَكّة أَرسل في يومٍ من الأيّام رسالةً للشيخ علي الطنطاوي، يسأله فيها إنْ كان «الدَّقّ على التَّنَكَة» مُباحًا شَرْعًا. لم يكن الشيخُ المولودُ في دمشق عارفًا بلغة الزُّعران في مكّة، فقرأ الرسالةَ مباشرةً في برنامجه اليوميّ «مسائلُ ومشكلات» على الإذاعة السعوديّة. وقال إنْ كان السائل يقصد حكمَ الشرع في الضرب على الطبول، فإنه لا يرى ما يوجب تحريمَها. لم يكن الفقيهُ المسكينُ يدري أنّ سائلَه الخبيثَ قَصَدَ الإيقاعَ به لَعَلَّه يُفتي بجواز اللواط!

❖ ❖ ❖

يجب التنبيهُ كذلك إلى أنّ التنافر الدلاليّ لا يقتصر على العلاقات الثنائيّة بين لهجتين، بل إنّ هناك تنافرًا دلاليّاً أيضًا **ضِمْنَ** اللهجة الواحدة. وهذا في رأيي عائدٌ لأمرين:

ـ الأول هو أنّ اللهجة، مهما شطَّت في بعض جوانبها، تبقى على اتّصال جَنينيّ باللغة الأمّ.

ـ والثاني عائدٌ إلى أنّ هذه اللهجة تختطّ لنفسها مسارًا مستقلاً في تطوّرها ينأى بها عن اللغة الأمّ في جوانب أخرى.

لقد ذكرتُ آنفًا الدلالة الخاصّة لكلمة «الفَرْج» لدى ناطقٍ معيّنٍ بإحدى اللهجات العربيّة. والطريف في الأمر أنّ «الفرج» بمعناه الشائع أيضًا مألوفٌ لدى هذا المتحدّث، لكنّه عندما يتحدّث عن «الفَرْج» (بوصفه جزءًا من ثوب المرأة أو الرجل) لا يَخْطر في باله المعنى الأساسيُّ للّفظة. وإنْ شَعَرَ بما يوجب الحرج، فإنه بكلّ بساطة يستطيع أن يدرأ عن نفسه هذا الحرجَ بأنْ يُرْدِف تَلَفُّظَه بتلك الكلمة بعبارة «بلا معنى» أو «بلا جافية» (يعني، قافية، حيث الجيمُ أحدُ المتغيّرات اللفظيّة للقاف).

❖ ❖ ❖

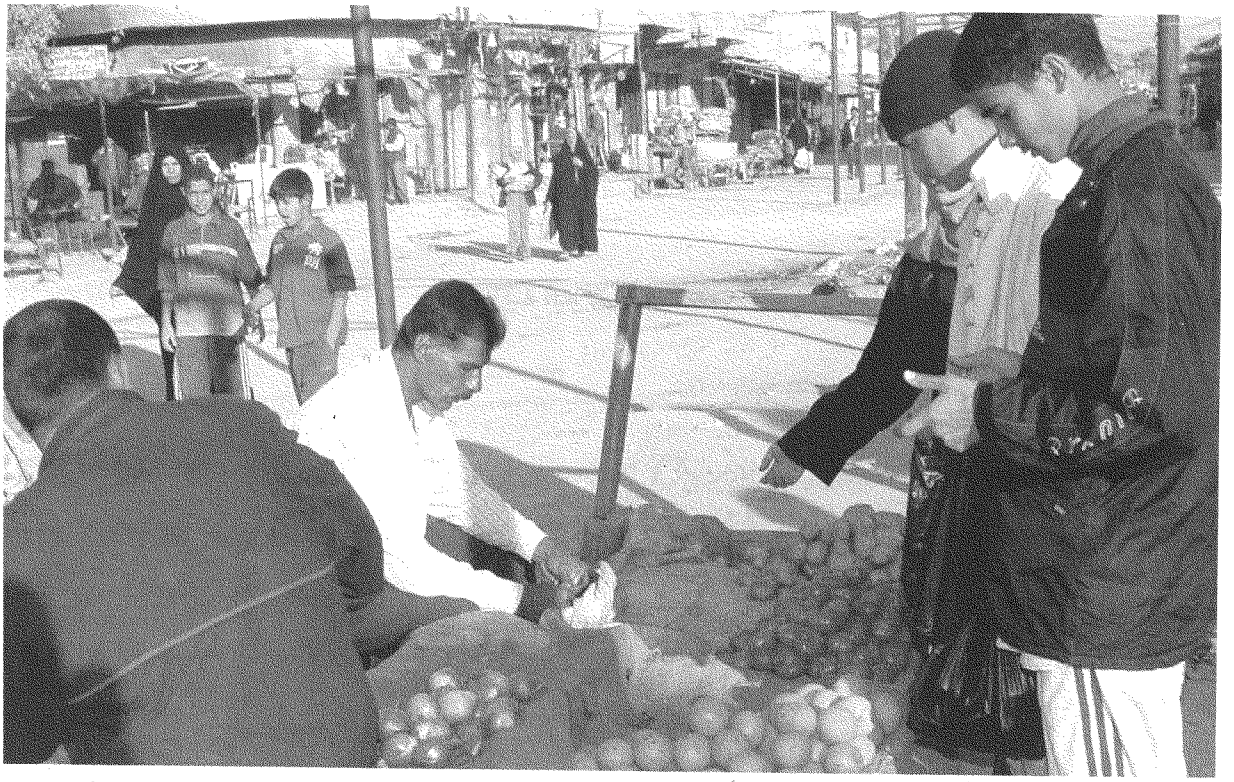

سوءُ الفهم اللغويّ قد يجعلُك تعودُ من السوق حاملاً غيرَ ما طلبتَ!

هذا غَيْضٌ من فَيْض عن المطبّات اللغويّة التي وَقعنا فيها، أو يمْكن أن نقعَ فيه. وهي مؤشّرٌ مؤلمٌ على البوْن الشاسع بين لغتنا الفصيحة ولهجاتنا العاميّة، والمحصّلةُ الطبيعيّة والمنطقيّة لتباعُد الشُّقة بين أبناء اللغة الواحدة. وكُلّي أملٌ أن تتضافرَ جهودُ المختصّين في اللسانيّات، وبالذات في علم اللغة الاجتماعيّ وعلم اللهجات، في دراسة هذه الظاهرة دراسةً مُستفيضةً.

ولأنّ العامّيّات العربيّة واقعٌ راسخٌ لا نستطيع أن نشطبه من حياتنا بجَرّةِ قلم، أو بأمانيَّ نتمنّاها ونحن قاعدون، فأنا واثقٌ بأنّنا نستطيع، على الأقلّ، أن نزيلَ بعضَ المطبّات من طريق الناطقين بهذه العامّيّات. والخطوةُ الأولى في هذا الاتجاه تكمن في نشر الوعي بمثل هذه التنافرات الدلاليّة.

إنّ واجبَ المثقفين عمومًا، واللغويّين خصوصًا، كواجب مديريّات الطرق في وضع إشاراتٍ إرشاديّة تُنَبِّه السائقين إلى وجود مَطَبّاتٍ أو منعطفاتٍ خطرة وسواها، لا أن نَغُضَّ الطرفَ عنها وكأنّها غيرُ موجودة، أو نَدسَّ رؤوسَنا كالنعام بدعوى الحِشْمة المزيّفة.

الطائف